Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 43:2 (2008)

بحث في عدد النفخات في الصور وقصة داوود عليه السلام مع الخصمين

سليمان معرفي سفر

المقدمة :

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وبعد..

فهذان البحثان من سلسلة بحوث أنوي القيام بالكتابة فيها، وهي عبارة عن مسائل هامة مختلف فيها بين أهل التفسير والفقه، قمت على التحقيق فيها وتحرير محل النزاع فيها بحسب طاقتي البشرية. وعملي في هذين البحثين، وما يليهما من بحوث كالآتي:

أذكر الآية المختلف في تفسيرها ثم أجمع الأقوال فيها، ثم أذكر أدلة كل قول منها مع تخريج الأحاديث والآثار وتحقيقها سنداً ومتناً، والاعتماد على الصحيح الثابت منها، مع بيان الراجح من الأقوال مع ذكر سبب الترجيح معتمداً على قواعد الترجيح في ذلك، وفي النهاية أذكر نتائج البحث والتوصيات. وقد رأيت في هذه الطريقة أسلوباً جيداً يعتمد على إفراد هذه المسائل الكثيرة الهامة وجمع شتات المسائل تسهيلاً على الباحثين فيها، أسأل الله عز وجل أن يعينني على إتمامها، وأبدأ بأول بحثين من سلسلة هذه البحوث: الأول "عدد النفخات في الصور" والآخر قوله تعالى في شأن داوود عليه السلام ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوْا الْمِحْرَابَ** ...﴾[1].

هذا وصلى الله على محمد وآله وصحبه والحمدلله رب العالمين.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده و رسوله وبعد:

1- سورة ص، الآيات: 21- 26 .

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

تكلم أهل العلم على مسائل عديدة في الصور واختلفوا في أكثر من مسألة فيه، فاختلفوا في معنى الصور وفي عدد النفخات، وهي موضوع بحثنا، وفيما يحصل في كل نفخة ومن هو النافخ ومن الذين استثناهم الله؟ وغير ذلك من المسائل على أنهم اتفقوا على جملة الأحداث الحاصلة يوم القيامة، فالخلاف في مسألتنا ليس في حدوث بعض الحوادث أولاً وإنما الخلاف في عدد تلك النفخات وفي تنزيل هذه الحوادث و المشاهد عليها، ثم إن هذا الخلاف لا ينبني عليه كثير عمل ولذلك قال ابن عثيمين: "والأمر في هذا قريب"[2].

ولكن نناقش المسألة من باب تدبر كلام الله فنقول مستعينين بالله: نبيّن أولا موضع الإجماع والخلاف. أما موضع الإجماع فالجميع متفق على جملة أحداث يوم القيامة وتسلسلها من موت البشر وهلاكهم جميعا إلى بعثهم للحساب يوم القيامة، والجميع متفق على أن النفخة الأولى يحصل فيها فزع الناس وتغير نظام العالم، و الجميع متفق على أن النفخة الأخيرة يبعث فيها الناس من قبورهم مسرعين إلى الله، وإنما الخلاف في الصعق الذي هو الغشي أو الموت[3]، هل له نفخة مستقلة أو هو داخل في أحداث النفخة الأولى؟

وقبل عرض الأقوال أذكر ثلاث آيات يذكرها أهل العلم في هذه المسألة حتى لا أكرر الآيات، ونذكر معنى الصور والفزع والصعق:

آية الأنعام قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُوْلُ كُنْ فَيَكُوْنُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوْرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ**﴾[4]. ومعنى الآية إجمالا: " أن الله خلق السموات والأرض ليأمر العباد ويجازيهم، وقوله سبحانه حق لا مرية فيه، ثم ذكر جل جلاله ملكه في هذا اليوم خاصة لانقطاع جميع الأملاك، فهو سبحانه عالم كل شيء المحيط بالبواطن والخفايا"[5].

آية النمل قوله جل وعلا: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوْرِ فَفَزِعَ مَنْ فِيْ السَّموَاتِ وَمَنْ فِيْ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَآءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِيْنَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُـرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِيْ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**

2- محمد بن صالح العثيمين، **شرح العقيدة السفارينية**، مؤسسة ابن عثيمين، 1426هـ، ص 467.

3- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ/ 2003م، 5/ 337-338.

4- سورة الأنعام، الآية: 73 .

5- **تفسير السعدي**، دار الصفا، مكتبة الأوس، 2/ 43 بتصرف.

﴿إِنَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَفْعَلُوْنَ﴾[6]. والفزع معناه: الذعر ويأتي بمعنى الإغاثة[7]. ومعنى الآية إجمالا: أي إذا نفخ في الصور خاف الناس بسبب ذلك إلا من استثناهم الله و الكل أتاه سبحانه ذليلاً صاغراً[8].

وقوله جل وعلا في آية الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِيْ السَّموَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَآءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُوْنَ﴾[9]. ومعناها الإجمالي: أنه إذا نفخ في القرن الذي لا يعلم عظمته إلا الله غشي أو مات ـ على خلاف ـ كل من سمع النفخة الأولى إلا من استثنى الله ممن ثبته ثم ينفخ نفخة البعث فإذا الناس أبصارهم شاخصة ينظرون ما يفعل بهم[10] و الصعق لغة: الغشي ويأتي بمعنى الموت [11].

أما معنى الصور فهو: القرن ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُـنفَخُ فِي الـصُّوْرِ﴾ [12] و قـال صـلى الله عليه و سلم لما سئل عن الصور قال: "قرن ينفخ فيه"[13].

أما أقوال أهل العلم في هذه المسألة فثلاثة: الأول أنها ثلاث نفخات. الثاني أنها أربع نفخات. الثالث أنها نفختان.

أما أدلة الفريق الأول فهي:

قالوا: إن القرآن أخبر عن ثلاث نفخات فذكر في آية النمل نفخة الفزع وفيها يفزع الناس ويتغير النظام وتدك الجبال ويتغير كل شيء، وهذه النفخة لا علاقة للأموات بها كما سيأتي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك"[14] وهي التي يقول الله

6- سورة النمل، الآية: 87 .

7- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة الرشد، 1425هـ/ 2004م، ص 666.

8- انظر: **تفسير السعدي**، 3/ 587 بتصرف.

9- سورة الزمر، الآية: 68.

10- انظر: المصدر السابق، 4/ 353-354 بتصرف.

11- انظر: ابن منظور، **لسان العرب** مادة "ص ع ق" والرازي، **مختار الصحاح**، ص 485.

12- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص 497 مادة ص و ر.

13- أخرجه الترمذي في **السنن**، وحسنه برقم: 2430 وصححه الألباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، اعتناء: مشهور بن حسن، مكتبة المعارف، ط 1.

14- ويأتي تخريجه.

فيها: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**﴾ والرجفة: الزلزلة[15] ويقول فيها في سورة الحج: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ...**﴾[16] والذهول: النسيان والغفلة[17]. وأما النفخة الثانية فهي نفخة الصعق، فيها يموت جميع الناس فلا يبقى أحد إلا من استثنى الله كما في آية الزمر. والنفخة الثالثة هي التي يبعث فيها الناس من قبورهم كما في آية الزمر أيضاً ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ**﴾ وقال الله جل وعلا عنها: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَإِذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ**﴾[18] والأجداث: القبور[19] والنسل هنا: بمعنى أسرعوا[20] فهذا دليلهم الأول آيتا النمل والزمر، قالوا: فذكر الله الفزع في نفخة والصعق في نفخة ثم ذكر نفخة البعث فدل أنها ثلاث[21].

واستدلوا أيضا بآية النازعات، قال جل وعلا: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**..﴾ ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ قالوا: فذكر الله الرجفة ثم الرادفة ثم الزجرة الواحدة فدل أنها ثلاث[22].

ودليلهم الثالث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل ونسوقه كله بإسناد الطبري، قال رحمه الله برقم 20638 عند الآية 73 من سورة الأنعام: حدثنا أبو كُرَيب قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد بن زياد قال أبو جعفر: والصواب: يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار عن أبي هُريرة: أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله؟ ما الصّور؟ قال: "قَرْنٌ"، قال: وكيف هو؟ قال: "قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفخاتٍ: الأُولى: نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصّعْقِ، والثّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيامِ لله رَبّ العَالَمِينَ، يأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بالنّفْخَةِ الأُوْلى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السّمواتِ وأَهْلُ الأَرْضِ، إلاّ مَنْ شَآءَ

15- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص 315.

16- سورة الحج، الآية: 2.

17- انظر: المصدر السابق، ص 301.

18- سورة يس، الآية: 51.

19- انظر: المصدر السابق، ص 126.

20- انظر: المصدر السابق، ص 867 كما قال سبحانه وتعالى في آية المعارج: ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا**..﴾.

21- انظر: الفوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد**، دار الذخائر، 1418هـ/ 1997م، ص 226، **مجموع فتاوى ابن تيمية**، 16/ 36 و 4/ 260.

22- انظر: القرطبي، **التذكرة**، مكتبة الصفا، 1422هـ/ 2001م، ص 181.

اللهُ وَيَأْمُرُهُ اللهُ فَيَمُدّ بِها ويطوّلهَافلاَ يفترْ ُ، وَهِيَ التي يَقُولُ اللهُ: ﴿ **ما يَنْظُرُ هَؤُلآءِ إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ** ﴾ فَيُسَيّرُ اللهُ الجِبالَ،فتكُونُ سَرَبا، وَتُرَجّ الأَرْضُ بأَهْلِها رَجّا، وهي التي يَقُولُ اللهُ: ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ** ﴾ فتكُونُ الأَرْضُ كالسّفِينَةِ المُوثَقَةِ فِي البَحْرِ، تَضْرُبها الأَمْوَاجُ، تُكْفأُ بأَهْلِها، أَوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلّقِ بالوَتَرِ، تُرَجّحُهُ الأَرْياحُ، فَتَمِيدُ النّاسُ علىَ ظَهْرِها، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ وَتَضَعُ الحَوَامِلُ وَتَشِيبُ الوِلْدَانُ وَتَطِيرُ الشّياطِينُ هارِبَةً، حتى تَأْتِيَ الأَقْطارَ،فتَتَلَقّاها المَلاَئِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها، فَتَرْجِعُ، وَيُوَلّي النّاسُ مُدْبِرِينَ يُنادي بَعْضُهُمْ بَعْضا، وَهُوَ الّذِي يَقُولُ اللهُ: ﴿ . . . **يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّوْنَ مُدْبِرِيْنَ مَا لَكُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾. فَبَيْنَما هُمْ عَلى ذلكَ إذْ تَصَدّعَت الأَرْضُ مِنْ قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، فَرَأَوْا أَمْراً عَظِيماً،فأخَذَهُمْ لِذَلَكَ مِنَ الكَرْبِ ما اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثم نَظَرُوا إلى السّماءِ، فإذَا هِي كالمُهْلِ، ثمّ خُسِفَ شَمْسُها وَقَمَرُها وانْتَثَرتْ نُجُومُها، ثُمّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والأَمْوَاتُ لا يعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ"، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، فمن استثنى الله حين يقول: ﴿ **فَفَزِعَ مَنْ فِي السّمواتِ ومَنْ فِي الأَرْضِ إلاّ مَنْ شآءَ اللهُ** ﴾ قال: "أُولَئِكَ الشّهَدَاءُ، وإنّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إلى الأَحْياءِ، أُولَئِكَ أحيْاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وآمَنَهُمْ، وَهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعثُهُ على شِرَارِ خَلْقِهِ"[23].

وهذا القول هو قول ابن تيمية[24] وابن العربي[25] وظاهر صنيع ابن كثير في تفسيره على آية الأنعام: 73[26] والسفاريني والفوزان[27] وغيرهم.

وأما القول الثاني فهو قول ابن حزم[28] أن النفخات أربع: الأولى نفخة الإماتة يموت فيها من بقي حيًّا في الأرض، الثانية نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب، والثالثة نفخة الفزع والصعق يفزعون ويصعقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد، الرابعة نفخة إفاقة

23- صححه ابن العربي، انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص 179 وللحديث سياق أطول في مسند إسحق بن راهويه وغيره برقم: 10، ساقه ابن كثير كله في **تفسيره** وخرجه عند آية الأنعام: 73.

24- ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، 16/ 36.

25- القرطبي، **التذكرة**، ص 169.

26- **تفسير ابن كثير**، 2/ 283-284.

27- الفوزان، **الإرشاد**، ص 226.

28- انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، دار السلام، 1418هـ/ 1997م، 6/ 542، وذكره ابن تيمية بصيغة التضعيف، **مجموع الفتاوى**، 16/ 36.

من ذلك الغشي، مستدلاً لثلاث نفخات الأُوَل بآيتي النمل والزمر. أما النفخة الرابعة فأستدلّ لها بحديث أبي هريرة "قال: استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تُخَيِّروني على موسى، فإنَّ الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله" فقال: هذه نفخة رابعة[29].

أما أصحاب القول الثالث القائلون بأنها نفختان فاستدلوا أيضاً بآيتي النمل والزمر. قالوا: والفزع والصعق يحصل في نفخة واحدة وهي النفخة الأولى فيفزع الناس ثم يصعقون في النفخة الأولى، ثم ينفخ الثانية فيبعثون من قبورهم. واستدلو أيضاً بحديث أبي هريرة في **الصحيحين**، قال صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون.."[30].

واستدلوا بما جاء عن ابن عباس موقوفا عليه في **المعجم الكبير**، قال الطبراني: "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن رِشْدِينَ الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بن عَدِيٍّ إِمْلاءً فِي كِتَابِهِ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بن عَمْرٍو الرَّقِّيُّ، عَنْ زَيْدِ بن أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنِ الْمِنْهَالِ بن عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَعِيدٌ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، فَقَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِي، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:تَكْذِيبٌ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ:مَا هُوَ بِتَكْذِيبٍ وَلَكِنِ اخْتِلافٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَهَلُمَّ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ..." إلخ وفيه: "فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: ﴿**فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُوْنَ**﴾، فَهَذَا فِي النَّفْخَةِ الأُولَى، يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ، فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلا يَتَسَآءَلُوْنَ، ثُمَّ إِذَا كَانَ فِي النَّفْخَةِ الأُخْرَى قَامُوْا فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُوْنَ ..." إلخ[31].

قلت: رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن رشدين شيخ الطبراني، قال عنه ابن أبي حاتم: "سمعت منه ولم أحدث عنه لما تكلموا فيه"[32] وقال ابن عدي في **الكامل** برقم 42: "وابن رشدين هذا

29- **صحيح البخاري**، 3408 وانظر: ابن حجر العسقلاني، **الفتح**، 6/ 542.

30- **صحيح البخاري**، 4814 و**صحيح مسلم**، 2955، موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة في مجلد واحد، دار السلام، طبعة عام 2000م.

31- الطبراني، **المعجم الكبير**، نسخة الحاسب الآلي، 10/ 300 برقم: 10594.

32- ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، دار الحديث، القاهرة، 2/ 75.

صاحب حديث كثير يحدث عن الحفاظ بحديث مصر أنكرت عليه أشياء مما رواه وهو ممن يكتب حديثه مع ضعفه"[33]. وللحديث شاهد عند الحاكم ولكن الرواية مختصرة برقم 3489 عن مطرف عن المنهال بن عمرو به غير أن السائل رجل لا سعيد و صححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح.

واستدلو أيضاً بما جاء عن ابن مسعود موقوفا عليه من طرق: "عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال: كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه فذكر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسعود: تفترقون أيها الناس لخروجه على ثلاث فرق: فرقة تتبعه وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام فيبعثون إليهم طليعة فيهم فارس على فرس أشقر وأبلق، قال: فيقتتلون فلا يرجع.... قال: ثم تقوم الساعة على شرار الناس ثم يقوم الملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرن فلا يبقى خلق في السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون..إلخ"[34].

قلت: رجاله ثقات إلا أبو الزعراء عبد الله بن هانئ، قال فيه البخاري: لا يتابع على حديثه ووثقه ابن حبان والعجلي وابن سعد فالسند محتمل للتحسين[35].

وهذا القول هو قول ابن عباس والحسن[36] ومجاهد والقرطبي[37] وابن حجر[38] وظاهر كلام السعدي[39] على آية الزمر وابن عثيمين[40] وغيرهم.

قلت: وهذا هو الراجح إن شاء الله أنه ينفخ في الصور نفختان وأما أدلة الفريقين فنردّ عليها فنقول: أما القائلون بثلاث فعمدتهم حديث أبي هريرة الطويل المذكور آنفاً وهو حديث ضعيف ضعّفه

33- ابن عدي، **الكامل**، دار الكتب العلمية، برقم: 42.

34- الحاكم، **المستدرك**، نسخة الحاسب الآلي، برقم: 8519 وابن أبي شيبة، **المصنف**، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، 1994م، 7/ 212 برقم: 37626.

35- انظر: الذهبي، **الكاشف**.

36- ويأتي تخريجه.

37- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، شركة مكتبة البخاري، 7/ 159 **والتذكرة**، ص 169.

38- ابن حجر العسقلاني، **الفتح**، 6/ 542.

39- **تفسير السعدي**، 4/ 353.

40- ابن عثيمين، **شرح السفارينية**، ص 467.

البيهقي وعبد الحق ومال إليه الحافظ ابن حجر وقال: "هو أولى"[41] ـ أي تضعيفه ـ وقال القرطبي بعد أن ذكر تصحيح ابن العربي له: "وفيه نظر"[42] ـ أي تصحيح ابن العربي للحديث ـ وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الحديث بطوله: "هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة.. قال: ومنهم من قال فيه: متروك.. قال: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة.. وأما سياقه فغريب جداً ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحدا فأنكر عليه بسبب ذلك"[43].

فالحديث إلى الضعف أقرب، وأما استدلالهم بالآية الكريمة فمنقوض بأمور:

أولاً: أن نفخة الفزع هي نفسها نفخة الصعق بدليل أن الاستثناء حاصل لهما، فالاستثناء وقع في آية النمل ووقع في آية الزمر فدل أنهما واحدة[44].

ثانياً: الصعق يكون قبله فزع فالأولى أن يقال أنهما مشهد واحد وهو النفخة الأولى لتعلقهما ببعض[45] ويشهد لهذا المعنى الحديث المشهور في فزع وصعق الملائكة من كلام الرب تبارك وتعالى، فعن النوّاس بن سمعان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تكَلّمَ بالوَحْيِ، أَخَذَتِ السّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ أوْ قالَ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفَ أمْرِ الله، فإذا سَمِعَ بذلكَ أَهْلُ السّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرّوا لله سُجّداً، فَيَكُونُ أوّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ جبْرائِيلُ..إلخ"[46].

ثالثاً: أنه لا مانع من تعدد الأحداث في النفخة الواحدة، فذكر الله في كل آية بعض حدث النفخة، ففي النمل ذكر الفزع و في الزمر ذكر الصعق، وبعبارة أخرى لا مانع من أن يكون المقصود من الآيتين آية الفزع وآية الصعق النفخة الأولى وإن كان الفزع يختلف عن الصعق إذ لا مانع من تعدد الأحداث في النفخة الواحدة وبالمثال يتضح المقال: عندنا الآن نفخة البعث قد ذكرها الله في كتابه في مواضع عديدة وفي

41- انظر: ابن حجر العسقلاني، **الفتح**، 11/ 448.

42- انظر: القرطبي، **التذكرة**، ص 169.

43- انظر: **تفسير ابن كثير**، تفسير آية الأنعام المتقدم ذكرها، 2/ 288.

44- ذكره القرطبي في **التذكرة**، ص 17.

45- ذكر معناه القرطبي في **الجامع**، 7/ 159 و**تفسير البغوي**، دار طيبة، 1423هـ/ 2003م، 3/ 418 تفسير آية النمل.

46- أخرجه الطبري في **تفسيره** على آية سبأ: 23 وأخرجه ابن خزيمة في **التوحيد**، مكتبة الرشد، 1418هـ/ 1997م، 1/ 348 من حديث النواس بن سمعان وانظر: **صحيح البخاري**، رقم: 4710 من حديث أبي هريرة.

كل آية ذكر حدثا يختلف عن الحدث المذكور في الآية الأخرى مع أن كلا الحدثين حاصل في نفس النفخة وهي نفخة البعث فمثلا قوله جل وعلا: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَإِذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ**﴾[47] وقوله جل وعلا: ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوْرِ فَتَأْتُوْنَ أَفْوَاجًا**﴾[48] والفوج: الجماعة من الناس[49] وقوله جل وعلا : ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوْرِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾[50] فهذه ثلاثة أحداث: خروج الناس من القبور وإتيانهم أفواجا وحشر المجرمين زرقا، فهل نقول لكل حادث نفخة أو نقول أن الله ذكر في كل آية بعض الأحداث التي تحصل في نفخة البعث ؟ الجواب واضح.

فكذلك هنا ذكر في آية النمل بعض الحدث وهو الفزع وفي آية الزمر البعض الآخر وهو الصعق والنفخة واحدة، فلا مانع من تعدد الأحداث في نفخة واحدة.. والله أعلم.

الأمر الرابع: قوله سبحانه وتعالى في آية الزمر: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ أُخْرَى**﴾ وكلمة "أخرى" عند العرب لا تستعمل لأمر له شيء ثالث فلا تقول مثلا الأولى كذا والأخرى كذا والثالثة كذا وإنما إذا قالت العرب الأخرى كذا فاعلم أنه لا ثالث بعدها[51].

وأما استدلالهم بآية النازعات فردّ الاستدلال القرطبي فقال: "إنما المراد بالزجرة النفخة الثانية التي يكون عنها خروج الخلق من قبورهم، كذلك قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد. قال مجاهد: هما صيحتان: أما الأولى فتميت.. وأما الثانية فتحيي.. وقال ابن زيد : الراجفة الموت والرادفة الساعة".

وقال ابن عباس: "الراجفة": النفخة الأولى، و"الرادفة": النفخة الثانية[52] ونحوه جاء عن الحسن[53].

47- سورة يس، الآية: 51.

48- سورة النبأ، الآية: 18.

49- أخرجه الطبري في **تفسيره** على آية سبأ: 23 وأخرجه ابن خزيمة في **التوحيد**، 1/ 348 من حديث النواس بن سمعان وانظر: **البخاري** 4710 من حديث أبي هريرة.

50- سورة طـه، الآية: 102.

51- ارجع إلى أشرطة محمد البراك في **قواعد وأصول التفسير**، وأشار ابن منظور في **لسان العرب** إشارة لطيفة جداً في مادة "أخر".

52- أخرجه البخاري في **صحيحه** تعليقا، باب نفخ الصور من كتاب الرقاق ووصله الطبري برقم: 27983 قال: حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس به.

53- أخرجه الطبري برقم: 27984.

قلت: ويشهد لكلام القرطبي أن المقصود بالزجرة النفخة الثانية آيات الصافات في قوله جل وعلا عن الكفار: ﴿ **أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُوْنَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُوْنَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُوْنَ وَقَالُوْا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّيْنِ** ﴾[54] والزجرة هنا كما هو ظاهر نفخة البعث ـ النفخة الثانية ـ فعبر هنا بالزجرة وفي النازعات عبر أيضاً بالزجرة، فالمقصود في الآيتين واحد لاتحاد اللفظين وإن كانت ليست بظاهرة جداً ولكن يستأنس بها.

أما قول ابن حزم رحمه الله تعالى فقال ابن حجر رحمه الله تعالى في الرد عليه: "وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعا ليس بواضح بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يستمعها فالأولى يموت بها كل من كان حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية يعيش بها من مات ويفيق من غشي عليه والله أعلم"[55]. هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قصة داوود ـ عليه السلام ـ مع الخصمين التي تذكر في كتب التفسير:

عند قوله تعالى ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوْا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوْا عَلَى دَاوُوْدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوْا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَى سَوَآءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَآ أَخِيْ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُوْنَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِيْ فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُوْدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيْلِ اللهِ إِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ لَـهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾[56].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد: فهذا بحث عن قصة داوود عليه السلام التي يوردها بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**..... ﴾ من سورة ص. والمفسرون في إيراد هذه القصة على أقسام:

54- سورة الصافات، الآيات: 16-20.

55- ابن حجر العسقلاني، **الفتح**، 6/ 542.

56- سورة ص، الآيات: 21- 26.

القسم الأول: من رواها مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم كابن جرير.

القسم الثاني: من ذكرها ولم يتعقبها كالبغوي.

القسم الثالث: من ألمح إليها وتعقبها كابن كثير، وسيأتي التفصيل.

وهذا التقرير قسمته إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في إيراد هذه القصة ملخّصة وتخريجها.

الباب الثاني: في بيان بطلان هذه القصة من جهتين:

أولاً: من جهة السند.

ثانياً: من جهة المتن.

الباب الثالث: التفسير الصحيح لهذه الآيات.

وممن تطرق إلى هذا الموضوع بشيء من البسط الشيخ القاسمي[57] و د. محمد أبو شهبة[58] ود. طاهر يعقوب[59] وقد أفدت منها.

الباب الأول: ملخّص القصة وتخريجها:

أنه أراد أن يبتلي كما ابتلي آباؤه، فقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه، ودخل محرابه وأغلق بابه إذ جاءه طائر مذهب يدرج بين يديه فدنا منه، فأمكن أن يأخذه فطار فوقع على كوّة المحراب، فتقدم له داوود عليه السلام، فتأخر يسيراً فلم يزل كذلك يستتبع داوود مطمعاً له حتى طار فأتبعه داوود بصره فوقعت عينه على امرأة تغتسل فأعجبه جمالها، وكان زوجها أُورِيا[60] بن حنان في الجهاد، فكتب داوود إلى أمير الجيش: أن قدم أوريا بالتابوت، وكان لا يتقدم به أحد، فيرجع إلا مفتوحاً عليه أو مستشهداً فقتل، فتزوجها داوود بعد انقضاء عدتها.

57- القاسمي، **محاسن التأويل**، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، 14/ 5088 ـ 5091.

58- محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، دار الحيل، ص 265 – 271.

59- طاهر محمود، **أسباب الخطأ في التفسير**، دار ابن الجوزي، 1/ 176-181.

60- بهمزة مضمومة و واو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء تحتية بعدها ألف، هكذا ضبطه القونوي في حاشيته على **تفسير البيضاوي**، تحقيق وتعليق: محمد صبحي حلاق وآخر، دار الرشيد، 16/ 392، ملا علي القاري، **شرح الشفا**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2/ 296.

التخريج: أصل القصة أخرجها الحكيم الترمذي[61] في **نوادر الأصول**، وابن جرير[62] وابن أبي حاتم[63] عن أنس مرفوعاً وأخرجها ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً عليه وكذلك ابن أبي شيبة في **المصنف**[64]، ورواها ابن جرير عن السدي والحسن ووهب بن منبه مختصرة ومطولة. وذكرها البغوي[65]وهود بن محكّم في تفسيره[66] والعز بن عبد السلام في **تفسير القرآن**[67]وغيرهم.

والذي يهم هو إسناد الحديث المرفوع حيث جاء من طريق ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك مرفوعاً. وأخرجها ابن قدامة[68] بنحوه بسند منقطع عن أبي هريرة مرفوعاً.

الباب الثاني: في بيان بطلان هذه القصة من جهتين:

أولاً: من جهة السند:

المبحث الأول: رجال الإسناد:

أنقل أولاً كلام أهل العلم عن يزيد الرقاشي لوضوح الكلام عليه: تركه النسائي والحاكم وقال الإمام أحمد: "كان يزيد منكر الحديث وكان شعبة يحمل عليه وكان قاصاً". وضعّفه يحيى بن معين[69].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة"[70]. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "زاهد ضعيف"[71].

61- الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول**، تحقيق أحمد الشايح والسيد الجميل، دار الريان، 1/ 699، انظر: السيوطي، **الدر المنثور**، تحقيق عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 12/ 526، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 15/ 167.

62- **تفسير الطبري**، 23/ 150.

63- **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق الزهراني وآخر، دار طيبة، 10/ 3238 – 3239 وقاله ابن كثير في **التفسير**، 7/ 60 والسيوطي في **الدر المنثور**، 12/ 526.

64- **مصنف ابن أبي شيبة**، 16/ 555 – 562.

65- **تفسير البغوي**، 3/ 693.

66- هود بن محكم الهواري، **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق الحاج شريفي، دار الغرب الإسلامي، 4/ 13.

67- العز بن عبد السلام، **تفسير القرآن**، تحقيق عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، 3/ 76.

68- ابن قدامة، **كتاب التوابين**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، ص 16.

69- المزي، **تهذيب الكمال**، 3/ 1527 – 1528 نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية.

70- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 7/ 60.

71- ابن حجر العسقلاني، **التقريب**، بيت الأفكار الدولية، 1421هـ/ 2000م، ص 107.

أما عبدالله بن لهيعة ففيه كلام كثير والصواب والله أعلم أنه ضعيف مطلقاً[72]، وعلى خلافه فالحديث معلول بالرقاشي.

المبحث الثاني: كلام أهل العلم على هذا الحديث:

ضعّفه القاضي عياض وابن كثير وابن الجوزي والسيوطي وصديق حسن خان والقاسمي والشيخ محمد الأمين الشنقيطي[73] رحمهم الله. وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: "باطل"[74]. وقالوا هذه القصة مأخوذة من الإسرائيليات. قال الشيخ الألباني رحمه الله: "الظاهر أنه من الإسرائيليات التي نقلها أهل الكتاب الذين لا يعتقدون عصمة الأنبياء، أخطأ يزيد الرقاشي فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم"[75].

فعلى هذا المرفوع لم يأت من طريق صحيح، وأما الموقوف من ذلك على الصحابة والأتباع رضي الله عنهم، فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة من هذا النبأ أو الثقة بمن حكى عنها[76].

قال ابن حزم رحمه الله: "... قول الله تعالى حاكياً عن داوود عليه السلام ﴿**هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**.... إلى قوله... **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ**﴾: هذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود..... "[77][78].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه"[79].

72- المزي، **تهذيب الكمال**، 2/ 727- 729 وللفائدة ينظر: **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: الأعظمي، 1/ 75، الأجزاء الحديثية للشيخ بكر أبو زيد ص 72، 73، طارق عوض الله، **النقد البناء** ص 44، 46، والألباني، **إرواء الغليل**، 4/ 26) و4/ 176و 5/ 111، **الصحيحة**، 3206 الشيخ سعد آل حميد، **مناهج المحدثين**، ص 136 وهناك بحوث أفردت عنه.

73- وهي على الترتيب: القاري، **شرح الشفا**، 2/ 294، **تفسير القرآن العظيم**، 7/ 60، **زاد المسير**، المكتب الإسلامي، 7/ 115، **الدر المنثور**، 12/ 526، **فتح البيان**، عناية: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، 12/ 27، **محاسن التأويل**، 14/ 5089، **أضواء البيان**، دار عالم الفوائد، 7/ 26.

74- الألباني، **الضعيفة**، 1/ 485.

75- المصدر السابق.

76- قاله القاسمي في **محاسن التأويل**، 4/ 5089.

77- ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، 4/ 39- 40 ولينظر **تفسير البيضاوي**، 3/ 171.

78- هذا التعبير لعله فيمن يروي هذه على سبيل التهكم والازدراء لا على مجرد الرواية والله أعلم.

79- **تفسير ابن كثير**، 7/ 60.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، مما لا يليق بمنصب داوود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كله راجع إلى الإسرائيليات فلا ثقة به ولا معول عليه، وما جاء منه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح منه شيء"[80].

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله: "والحقيقة أن هذه القصة باطلة، لا يحل لأحد أن يعتقدها في داوود عليه السلام"[81].

ونقل الطوفي رحمه الله أن هناك من صحح هذه القصة بقوله: "وقد اختلف الناس فمنهم من صحح هذه القصة.... "[82] وهذا مردود بما سبق بيانه.

ثانياً: من جهة المتن:

بداية نذكر تفسير هذه الآيات على القول المرجوح الذي يعتمد على هذه القصة الإسرائيلية حتى يتضح الرد: أن داوود عندما تزوجها جاءه ملكان في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبيه داوود على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها، فتنبه داوود عليه السلام وتاب.

وإبطال هذه القصة من وجوه:

1- أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الخلق وأشدهم فجوراً لاستنكف عنها.

2- أن حاصل هذه القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم.

3- أن الله عز وجل وصف داوود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة "بصفات منها"[83]:

1- الصبر: فقد أمر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بأن يقتدي به في الصبر على طاعة الله.

2- العبودية ﴿**عَبْدَنَا دَاوُوْدَ**﴾.

80- الشنقيطي، **الأضواء**، 7/ 26.

81- محمد بن صالح بن عثيمين، **تفسير سورة ص**، دار الثريا، ص 101.

82- الطوفي، **الإشارات الإلهيه في المباحث الأصولية**، 3/ 180.

83- الرازي، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، 25/ 189-190، وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، دار الفكر، دمشق، 23/ 183-185.

3- القوة على أداء الطاعة ﴿ **ذَا الْأَيْدِ** ﴾.

4- الرجّاع إلى الله في أموره كلها ﴿ **إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾.

5- تسبيح الجبال ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ** ﴾.

6- تسخير الطير له ﴿ **وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ** ﴾.

7- قوة الملك ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ** ﴾.

8- إيتاء الحكمة ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ** ﴾.

9- حسن الفصل في الخصومات ﴿ **وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾.

ووصفه بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة، وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.

4- "الله سبحانه وتعالى نبّه آدم عليه السلام حينما أكل من الشجرة بدون ضرب مثل، وكذلك نبه الله محمداً صلى الله عليه وسلم حين عفا عن قوم من المنافقين بدون أن يتبين أمرهم بدون ضرب مثل، ونبهه على تحريمه ما أحل الله له لابتغاء مرضاة أزواجه بدون ضرب مثل، إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى ينبه على ما يحصل من الرسل بدون أن يضرب لهم أمثالاً، لكن هذه القصة الإسرائيلية أبت إلا أن يضرب مثلاً لفعل داوود المدّعى المزعوم"[84].

5- وتنزلاً لا تنازلاً: على فرض صحة هذه القصة فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته[85].

6- جاء أثر عن علي رضي الله عنه: "من حدثكم بحديث داوود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء". قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "لم أجده "[86] وهذا الأثر أورده عدد من المفسرين[87].

84- **تفسير سورة ص**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص100، 101.

85- **تفسير البيضاوي**، 3/ 171، والزمخشري، **الكشّاف**، دار المعرفة، 3/ 322، الرازي، **التفسير الكبير**، 25/ 193، ولينظر: الشيخ أبو شهبه، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص 269، 270، الجديع، **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، ص 325 .

86- ابن حجر العسقلاني، **الكافي الشافي**، دار المعرفة، رقم: 306، ونقل القونوي في **حاشيته على البيضاوي** عن العراقي قوله: "لم يصح عنه"، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، 16/ 392 ووجهه على فرض صحته.

87- ابن عطية، **المحرر الوجيز**، 12/ 439، **تفسير القرطبي**، 15/ 181، الزمخشري، **الكشاف**، 4/ 322 وعنه صديق حسن في **فتح البيان** 12/ 27 وابن جزيء الغرناطي في **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق عبد الرزاق مهدي، مؤسسة التاريخ العربي، 2/ 231.

* للفائدة: في مبحث عصمة الأنبياء عليهم السلام ينظر **النبوات** (2/ 873) و**الفتاوى** (4/ 319) كلاهما لشيخ الإسلام، و**أضواء البيان** للشنقيطي (4/ 668 ـ 670) و**الرسل والرسالات** للأشقر ص 107-111.

الباب الثالث: التفسير الصحيح لهذه الآيات:

للمفسرين اتجاهان في هذا التفسير:

الاتجاه الأول: أن علم هذه القصة مردّها إلى الله تعالى ونقتصر على مجرد التلاوة. وهذا ذهب إليه ابن كثير رحمه الله(88).

الاتجاه الثاني: تفسيرها على ظاهر الآيات وأن هذين الخصمين من البشر. قال ابن حزم رحمه الله: "وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم ولا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر بنص الآية"(89) وشنع القول على من قال: إنهما ليسا بخصمين. قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "والصحيح الذي لا شك فيه أنهم خصمان من البشر وليسوا من الملائكة، خصمان من البشر تنازعا في قضية بينهما..."(90) ورجح أبو حيان: أنهم من الإنس أيضاً(91).

أما كون ابن عطية نقل الإجماع على أنهما ملائكة بقوله: "لا خلاف بين أهل التأويل أن هؤلاء الخصم إنما كانوا ملائكة"(92). وحكى النحاس: "أنه لا خلاف بين أهل التفسير..."(93) أي في كونهما ملكين، ونقله عنه الشوكاني، فهذا لا يسلم لهم لوجود المخالف كالثعلبي وأبي حيان والآلوسي على اختلاف أقوالهم في تعيين أشخاصهم و الواقعة التي حصلت.

قوله تعالى: ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾ أي اختبرناه على الصحيح وتوضيح ذلك(94):

أولاً: أن داوود عليه السلام مأمور بأن يحكم بين الناس، فإنما وظيفته عامة، واختصاصاً في الوقت

88- **تفسير ابن كثير**، 7/ 60.

89- ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، 4/ 39.

90- محمد بن صالح العثيمين، **تفسير سورة ص**، ص101.

91- أبو حيان، **البحر المحيط**، دار الكتب العلمية، 7/ 377.

92- ابن عطية، **المحرر الوجيز**، 12/ 437 محمد الخضيري، **الإجماع في التفسير**، دار الوطن، ص 376، 378.

93- النحاس، **معاني القرآن**، تحقيق: الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 6/ 94.

94- محمد العثيمين، **تفسير سورة ص**، ص 111، 112، أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص 296.

بدخوله المحراب وإغلاق الباب عليه، هذا يخالف مقتضى وظيفته. إذ مقتضى وظيفته أن يتفرغ للناس حتى يقابل الخصوم ويحكم بينهم.

ثانياً: أن داوود عليه السلام سمع كلام الخصم الأول ولم يستمع إلى كلام الخصم الآخر، لأن القرآن ليس فيه أنه سمع إلى كلام الخصم الآخر.

ثالثاً: أنه حكم وقال: ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِيْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيْلٌ مَّا هُمْ**﴾ والحكم قبل سماع الخصم الآخر فيه شيء من التسرع مادام الخصم حاضراً.

لهذا علم داوود عليه السلام أن الله ابتلاه بهذه الخصومة التي جاءت وهو يتعبّد في محرابه وتسوروا عليه المحراب فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب.

الخاتمة والتوصيات:

بعد الفراغ من بحث مسألة "عدد النفخات في الصور" و "قصة داوود مع الخصمين" اتضح لي عظيم فائدة مثل هذه البحوث حيث تحرر فيها المسائل، فهي طريقة مهمة في تفسير كتاب الله تعالى، وبيان كيفية الاستفادة من مسائله ومعانيه فبهذا البحث اتضحت لنا الصورة جلية على أن الاعتبار للقولين: الأول والثالث، فالأول: القائلون بثلاث نفخات، والثالث: القائلون بنفختين، واتضح لي أن الخلاف بينهما خلاف شكلي سائغ مع قوة الأدلة للفريقين.

وعلى هذا الأساس فإنني أوصي العلماء وخصوصاً العلماء المتخصصين في التفسير وطلاب العلم الشرعي بالاهتمام بهذه الطريقة في استخلاص المسائل وتحريرها، وهي ليست بالطريقة الجديدة، فقد سبق إليها العلماء السابقون واللاحقون، وإنما وصيتي لهم مزيد اهتمام بها وانتهاج طريقتها في التفسير.

****